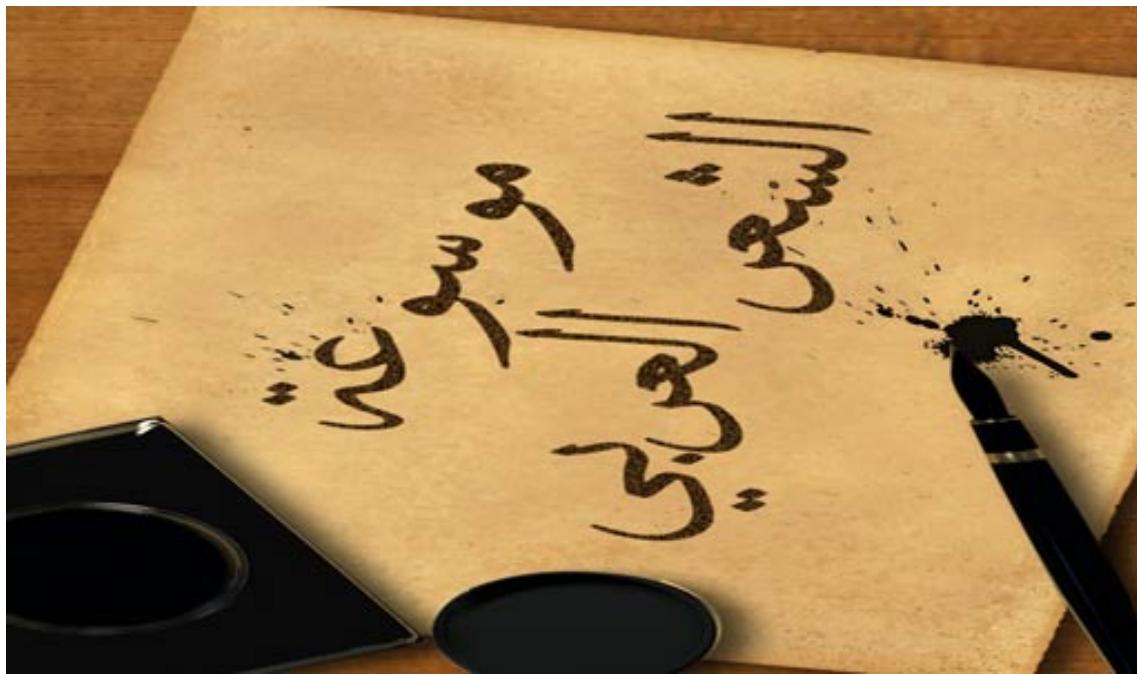


تأثير الشعر في النفس وانعكاسه على المجتمع



﴿اللَّهُمَّ عِرْ صوتِ القلبِ، ولسانِ العاطفةِ، وترجمانِ خلجمِ الوجدانِ. والشاعر طائر يحلق في كل جوٌّ ورسام حاذق تعبير ريشته من خلال أحاسيسه فترقص مع الفرح وت بكى مع الحزن فينعكس هذا التأثير على المجتمع خاصة إذا اعتمد الشاعر المعنى الرفيع من خلال حسسه المرهف وسبكه في صيغته المناسبة وبذلك يدخل إلى قلب السامع ويؤثر فيه تأثيراً يكاد يرقى به في كثير من الأحيان إلى مستوى مشاعر الشاعر وأحاسيسه. وميدان الشعر واسع في هذا المجال فكم أضرمت الحرب أبيات من الشعر وكم بسطت أكفاً لم تتعود العطاء وكم أدمنت المآقي التي قلّ ما تُبكيها الأحزان. كم حملتنا أبيات من الشعر على أجنحة الخيال وكم هزّت النفوس وأيقظت الوجدان!!! يروي لنا التاريخ عن حرب البسوس التي دامت أربعين عاماً بين بكر وتغلب أنها كانت نتيجة الحمية التي استثارتها البسوس بسبب سهم متعمداً أصاب ضرع ناقتها وإن شادها بانفعال وحسرة وتحريض: ولو أنني أصبحت في دار مذعّة *** لما ضيم زيد وهو جار لأبياتي ولكنني أصبحت في دار غريبة *** متى يعد فيها الذئب يعد على شاتي صورة أخرى من تأثير الشعر على الملوك والخلفاء وذوي السلطان؛ تروي لنا الكتب القديمة أن الخليفة الرشيد وهو على ناقته في بعض أسفاره طلع عليه أعرابي واستوقفه منشداً: أغينا تحمل الناقة أم تحمل هارونا؟ أم اللشمس أم البدر أم الدُّنيا أم الدُّنيا؟ فسرّ الرشيد وأمر له بعشرة آلاف درهم وكم كان من الصعب أن يحصل عليها أعرابي بهذا السخاء ومن هارون الرشيد. والله عزّ النابع من الإحساس الصادق قادر على

تحويل السرور إلى حُزْنٌ فما قوله لو أصغيت لمن نشاهد وهو يُسَجِّي جثمان أمّه في القبر
قائلاً: رأيت حنان الأم ينزل في القبر *** فأحسستُ أنَّ الرُّوح تُنزعُ من صدرِي ألا
تحزن من الأعماق مع هذا الذي يودع حنان الأم الوداع الأخير؟ والشعر يمتلكُ من القدرة ما
 يجعلك تزداد إيماناً بالحق*** في الدفاع عن الفكر، عن النفس، عن الوطن عندما تسمع
القول: أرعبَ عَدُوَّكَ في الرَّبَاطِ تُعِدُّهُ ** والخيل رَخْ جاثمٌ وسُنونِهِ لِوَلِمْ
يُكَنْ حَقُّ الدِّفَاعِ مُقدَّسًا ** ما كان للحملِ الْوَدِيعِ قُرُونٌ وإذا ما عدنا إلى
العطاء والمسخاء ومساعدة الإنسان للإنسان ألا نجدُ الآيات التالية تحصّن عليه وتجعلك
تشارك الآخرين في السَّرَاءِ والضَّرَاءِ؟ مِنْ حَبَّةِ القمح اتَّخذَ مثِيلَ النَّدى *** يا مَنْ
قبضَ عن النَّدَى يُمْنَاكَ هِي حَبَّةٌ أَعْطَتَكَ عَشْرَ سَنَابِلَ *** لِتَجُودَ أَنْتَ بِحَبَّةٍ
لِسُوكَ وَكَأْمَالِ الشَّرْقِ ** الذي في وسطِهَا ** لِكَ قَائِلٌ يَضْفي يَخْصُّ أَخاكَ وَالشِّعْرِ قادرٌ
على تغيير قناعات الكثيرين من الناس فمَمَا يُروى عن قبيلة أَنْفِ النَّاقَةِ التي كان يخجل
أفرادها من نسبهم إليها ما قاله الحُطَيْئَةُ مادحًا: قومٌ هُمُ الْأَنْفُ والأذنَابُ غَيْرُهُمُ
** وَمَنْ يُسَاوِي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنَبَ؟ فقد أصبحوا بعد أن داع هذا القول يفتخرون
ويُباهون بنسبهم. والمثلُ عن بنى النَّمِيرٍ مشهور فكم كانت هذه القبيلة تفخر بنسبها
وتبااهي به حتى كان ما قاله جرير في قصidته التي هجا بها بعض أفرادها: فغضٌ الطَّرْفَ
إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ ** فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كَلَابًا فَأَصْبَحَ أَفْرَادُهُ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ يَخْلُوُنَّ مِنْ نَسْبِهِمْ
إِلَيْهَا. أمّا قصّةُ التاجر الذي قدم المدينة متاجراً بكمية كبيرة من الْخُمُرِ السُّودِ فقد
رواها بعضُ الطُّرْفَاءِ بِأَنَّ هَذِهِ الْخُمُرَ كَسْدَتْ وَصَعُبَ بَيْعُهَا وَلَكِنَّهَا بَيْعَتْ بِسَرْعَةٍ وَنَفَدَتْ
جَمِيعَهَا بَعْدَ أَنْ دَاعَ قَوْلَ الشَّاعِرِ فِيهَا: قَلْ لِلْمَلِيْحَةِ فِي الْخَمَارِ الْأَسْوَدِ *** مَاذَا فَعَلَتْ بِنَاسِكِ
مَتَبَدِّدِ؟ قَدْ كَانَ شَمَرٌ لِلصَّلَةِ ثِيَابَهُ *** حَتَّى وَقَفَتْ لَهُ بَبَابُ الْمَسْجِدِ؟ وَسَمَا الشِّعْرَ إِلَى أَعْلَى
الْمَرَاتِبِ عِنْدَمَا تَأَثَّرَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرَّسُولُ فَقَدْ رَوَتْ لَنَا الْكِتَابَ أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا (ص) عَفَا عَنْ
كَعْبَ بْنِ زَهِيرٍ الَّذِي كَانَ مُحْكُومًا عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ وَمَرَّ بِهِ وَأَكْرَمَهُ بَعْدَ أَنْ أَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ
الْمَشْهُورَةُ الَّتِي مَطَلَّعَهَا: بَانَتْ سَعَادٌ فَقَلَّبِيُّ الْيَوْمِ مَتَبَولٌ *** مَتِّيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ
مَكْبُولٌ وَمَا سَعَادٌ غَدَةُ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَى آخِرِ الْقَصِيْدَةِ.. كَمَا عَفَا هَذَا الرَّسُولُ الْعَظِيمُ
الْمَرْهُفُ الْحَسَنُ الْكَبِيرُ الْقَلْبُ عَنْ أَسْرِي وَقَعَةَ "حُنَينٍ" عِنْدَمَا أَنْشَدَهُ كَبِيرُهُمْ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ
فِيهَا: وَامْتَنَ عَلَيْنَا رَسُولُهُ فِي حِرَمٍ *** فَإِنَّكَ الْمَرءَ نَرْجُوهُ وَنَنْتَظِرُ أَمْدُنَ عَلَى نِسْوَةٍ قد
كَنْتَ تَرْضَعُهَا *** يَا أَرْجُحَ النَّاسِ حِلْمًا حِينَ يُخْتَبِرُ وَمَا رَوَتْهُ كَتَبَ الْأَدْبُ بِصَدَدِ تَأْثِيرِ
الشِّعْرِ فِي النَّفْسِ إِلَى الْدَرْجَةِ الَّتِي تَجْعَلُ السَّامِعَ يَهْتَمُ اهْتِمَامًا كَبِيرًا بِمَنْ كَانَ اهْتِمَامُهُ بِهِ
عَادِيَاً: يَا أَعْرَابِيَاً كَانَ فَقِيرَ الْحَالِ وَغَيْرَ مَعْرُوفٍ بَيْنَ قَوْمِهِ فَنَصَّحَتْهُ زَوْجَتِهِ أَنْ يَسْتَضِيفَ
شَاعِرًا مَعْرُوفًا وَأَنْ يَكْرِمَهُ عَلَيْهِ يَكُونُ سَبِيلًا فِي لَفْتِ أَنْظَارِ النَّاسِ إِلَيْهِ فَاستَضَافَ الْأَعْشَى

وأكرمه رغم فقره فلما علم الأعشى بُؤسِه وسوء حاله ورأى ما رأى من سخائه قال فيه في سوق عكاظ: أرقتُ وما هذا السهاد المؤرّق *** وما بي من سُقمٍ وما بي مَعْشَقٌ ترى الجود يجري طاهراً فوق وجهه ** كما زان متن الهندوا نـي رونقٌ فأقبل الناسُ على هذا الأعرا بيـسألون عنه ويـتعرفون عليه ويـباركون كـرمـه حتى صاروا يـلتـمسـون وـدـه ويـتسـاـبـقـون لخطبة بناته. وهـكـذا فقد كانت للـشـعـرـ الـقـدـرـةـ التي تـجـعـلـ منـ النـكـرـةـ مـعـرـفـةـ وـمـنـ المـغـمـورـ اـنـسـانـاـ ذـاـ شـهـرـةـ وـاسـعـةـ. أما بـعـضـ الـكـتـبـ السـمـاـوـيـةـ فقد روـتـ أنـ أـخـاصـ النـبـيـ مـحـمـدـ (صـ) عندـماـ كانـ يـعـزـزـهـ قـولـهـ وـسـحـرـ بـيـانـهـ لاـ يـجـدـونـ حـجـةـ لـهـمـ تـجـاهـ هـذـاـ الـاعـجـارـ إـلاـ أـنـ يـقـولـواـ: إـنـهـ شـاعـرـ وـهـذـهـ شـهـادـةـ لـلـشـعـرـ عـظـيمـةـ كـادـتـ تـرـقـىـ بـهـ إـلـىـ أـعـلـىـ الـدـرـجـاتـ. وـأـخـيرـاـ وـلـيـسـ آخـرـاـ إـنـ دـلـلـ تـأـثـيرـ الشـعـرـ عـلـىـ شـيـءـ فـإـنـماـ يـأـتـيـ لـيـؤـكـدـ أـنـ"ـ الشـعـرـ الـأـصـيـلـ الـمـمـيـزـ بـيـلـاغـتـهـ وـرـقـهـ لـفـطـهـ وـحـسـنـ سـبـكـهـ وـاشـتـمـالـهـ عـلـىـ الـخـصـائـصـ الـبـدـيـعـةـ يـؤـثـرـ فـيـ النـفـسـ وـيـثـيـرـ الـعـوـاطـفـ وـيـمـضـيـ بـالـسـامـعـ إـلـىـ حـيـثـ يـقـصـدـ الشـاعـرـ: فـفـيـ الـحـمـاسـةـ يـدـفـعـ الشـعـرـ إـلـىـ حـبـ القـتـالـ. وـفـيـ الغـزـلـ يـسـتـمـتـعـ السـامـعـ وـيـكـادـ يـذـوبـ رـقـةـ وـوـجـداـ. وـفـيـ الـفـخرـ يـمـتـطـيـ مـعـ الشـاعـرـ أـجـنـحةـ الـخـيـالـ إـلـىـ النـجـومـ وـالـكـوـاكـبـ. وـفـيـ الرـثـاءـ يـسـيـطـرـ الـحـزـنـ وـالـأـسـ عـلـيـهـ وـفـيـ الـمـدـيـحـ كـمـ تـجـودـ أـكـفـ لمـ تـتـعـودـ الـعـطـاءـ. وـفـيـ الـاسـتـعـطـافـ كـمـ تـتـحرـكـ الـرـحـمـةـ وـيـسـتـيقـطـ الـوـجـدانـ. فـالـشـاعـرـ الصـادـقـ الـمـؤـمـنـ بـمـاـ يـقـولـ يـمـتـلـكـ مـنـ الـقـدـرـةـ اـسـطـاعـةـ تـمـكـنـهـ مـنـ تـوـجـيهـ الـمـجـتمـعـ وـالـتـأـثـيرـ عـلـيـهـ، وـهـوـ يـعـكـسـ مـاـ فـيـ أـصـغـرـيـهـ قـلـبـهـ وـلـسـانـهـ وـرـبـماـ كـانـ فـيـ هـذـاـ مـنـ التـأـثـيرـ مـاـ هـوـ أـقـوىـ وـأـمـضـ مـنـ كـلـ سـلاحـ. *ـأـدـيـبـ وـشـاعـرـ مـنـ سـورـيـةـ، لـهـ عـدـدـ مـنـ الـأـعـمـالـ الـشـعـرـيـةـ، يـنـشـرـ درـاسـاتـهـ وـأـشـعـارـهـ فـيـ الدـورـيـاتـ الـمـحلـيـةـ وـالـعـرـبـيـةـ.